أسلوب (التقديم والتأخير) في تفسير (غرائـب القرآن ورغائـب الفرقان) لنظام الدين النيسـابوري (ت بعد ٨٥٠ هـ)

الباحث : حيدر علي ندا
جامـعة الأنبار - كلية الآداب

أ.م.د. مـحـمود خلف حـمد
جامـعة الأنبار- كلية الآداب
mahkhmood@uoanbar.edu.iq

الملخّص :

يرمي هذا البحـث إلى إبراز جزء مـن رسـالة (علل التعبير القرآني في تفسير غرائـب القرآن ورغائـب الفرقان، لنظام الدين النيسـابوري)، وهذا الجزء هو: أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم؛ لنتعرف مـن خلاله على مـنهج (النيسـابوري) في التفسير، وطريقته في عرض مادته، ثم لنتعرف على طريقته في استعمال علوم متعدّدة: كالتفسير، والقراءات، والفقه، والبلاغة، والمـنطق، وغيرها، وتوظيفها في إبراز المـعاني التي يخرج إليها التقديم والتأخير، وطرائق استعمالها.

الكلمات المفتاحية : التقديم ، التأخير ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان .

Abstract

This research aims to highlight a part of the message (Ealal Altaebir Alqaraniu) In the interpretation (Gharayib Alquran Waraghayib Alfurqan) the system of religion Nisaburi to know through it the approach of the (AL Nisaburi) in his explanation and way in the displaying of his subject, then we know method of using multiple sciences such as interpretation, readings, jurisprudence, eloquence, logic and etc. and employ them to highlight the meanings that come out in the Quran and method of use it .

المـقدّمة

بسـم الله ربِّ العالمـين، والصـلاةُ والسلامُ على المبعوث رحـمة للعالمـين، مـحـمدٍ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

بين قطب الكمال التام والمطلق المتمثل بالقرآن الكريم، وبين الحقيقة الإنسـانية التي جبلت على النقص، يبقى هذا الإنسـان يدور في ذاك القطب ملتمسـاً عبر مئات السنين بعض شذرات الكمال، ليقف بعدها ولاسيَّما العالم والباحث في كل علم يمـس هذا الكتاب، ذلك المـعجزة الخالدة الذي أنزله

الله على نبيه المبعوث رحمة للعالمين، فتحدى به العرب على أنْ يأتوا بمثله أو بعض منه، وربّما كانت أفكار المفسرين هي التي تحظى بكثرة الدوران في القرآن الكريم قاصدة الوصول إلى بعض معانيه، أو علومه سواء أكانت أدبية، أم علمية، أم إنسانية، أم اجتماعية أم غيرها التي لا تعد ولا تحصى. ومن جملة هؤلاء المفسرين هو صاحب تفسير (غرائب القرآن، ورغائب الفرقان) نظام الدين الملقب بالنيسابوري (المتوفي بعد ٨٥٠ هـ) الذي اخترت نماذج من التقديم والتأخير في هذا التفسير تحت عنوان (نماذج من التقديم والتأخير في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري).

إنّ تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول. وقد يكون التقديم للعناية والاهتمام، فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام، والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنّها لفظة معينة، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال؛ ولذا كان عليك أنْ تقدّم كلمة في موضع، ثم تؤخرها في موضع آخر؛ لأنّ مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذاك. والقرآن أعلى مثل في ذلك، فإنّا نراه يقدّم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى، بحسب المقام، كل ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التعبير. فالتقديم والتأخير موضوع جدير بالدراسة والغوص في معانيه، لِمَا فيه من مردود ايجابي يخدم الباحث للغوص في معاني القرآن العظيمة حتى أنّه كانت أنظار الأصوليين والمفسرين تتجه صوبه ولا زالت الدراسات تفيض فيه، فهذا دليل على أنّ القرآن الكريم منهج لكل زمان ومكان، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أولًا: التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير متغيرًا أسلوبيًا في اللغة وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلبه المقام، ليخلق صورة فنية متميزة.

فهو تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضًا بلاغيًا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي.

وإذا كانت البلاغة مبنية على ترتيب الألفاظ وجمال موقعها في السياق فإن أسلوب التقديم والتأخير له المساحة الأكبر في هذه الأساليب ولأهمية هذا المتغير الأسلوبي فقد عني به علماء اللغة من عصر مبكر.

التقديم لغة: هو مصدر للفعل الماضي (قدّم)، أي : وضعه أمام غيره قَدُم يَقْدُم قِدَمًا وقَدامةً

وتَقَادَمَ، وهو قديم، والجمع قُدماء وقُدامى، وشيء قُدامٌ: كقديم(١).

أمّا في الاصطلاح: فهو أسلوب نحوي بلاغي ينسب إلى علم المعاني ، يهتم بتقديم الألفاظ والجمل بعضها على بعض الآخر؛ لتحقيق فائدة أو غاية معينة يصبو الكاتب أو المتكلم الوصول إليها(٢). إنّ اسلوب التقديم والتأخير يعد من روائع الإعجاز القرآني التي تضفي على السياق رونقاً وجمالًا، حتى يستميل مسامع القرّاء أو السامعين، وإذا أردنا أن نحيط بالصور المتلونة من التقديم والتأخير، فنراها صورًا كثيرة ومتعددةَ النطاق وواسعةَ المدار، إذ كشف علماء النحو والبلاغة القدامى والمحدثون الستار عنها، فدرسوا مقاصدها ومعالمها، ونلاحظ أنّ سيبويه قد أشار إلى هذا اللون من الأسلوب بقوله : "كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانا جميعًا يُهمّانِهم ويَعنيانهم "(٣). وكذلك نلاحظ الإشارة التي جاء فيها المبرد في المقتضب عندما قال: "وإنّما يصلح التقديم والتأخير إذا كان في التقديم فائدة حسنة "(٤). إنّ اسلوب التقديم والتأخير الذي نحن بصدده في هذا الفصل على ضربين: الأول: يكون فيه التقديم هو الأبلغ والأولى لموضع الاختصاص، والثاني: يكون التأخير هو والأبلغ والأولى؛ إما لفائدة تقتضي ذلك، أو خوفًا من اختلال المعنى وفساده(٥). ويمكن أنّ نقسم أحوال التقديم والتأخير إلى قسمين: أحدهما: تقديم المعمول على عامله ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وهذا التقديم يفيد الاختصاص في غالب الأمر، فمن ذلك قوله تعالى:ُّأهم هى هي يجَّ(٦)، فإنّ العبادة مختصة بالله سـبحانه، ولهذا قدم المفعول ولو أخره لأشكل الأمر بأنّ العبادة تكون لله ولغيره حاشا لله ، ومن ذلك قولنا: (بمحمدٍ اقتديتُ) و(خالدًا أعطيتُ)، وثانيهما: التقديم ليس لعامل بل تقديم الألفاظ بعضها على بعض الآخر في غير أمل كما في قوله تعالى:﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾(٧)، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾(٨)، ومثله من قولنا: (أعرت كتابي خالدًا) و(أعرتُ خالدًا كتابي)(٩) .

ثانيًا: التعريف بالنيسابوري:

اسمه ونسبه وكنيته: هو نظام الدين ابن الحسن بن محمد بن الحسين، الخراساني، النيسابوري، المعروف بالنظام الأعرج(١٠).

مولده ونشأته: ولد في نيسابورى ونشأ بها، وأقام في مدينة (قم) ، فأصله وموطن أهله وعشيرته مدينة (قُم)، وكان منشؤه وموطنه بديار نيسابور، أمّا أسرته فقد ذكر النيسابوري اثنين من أبنائه في مقدمة كتابه (جمل الغرائب)، وهما (قاسم ومحمد)، ويبدو أنّ النيسابوري (رحمه الله تعالى) عاش مدّة من

حياته في نيسابور، ولعله خرج منها بعد سقوطها عام ٥٣٦ هـ، ورحل إلى الجند، ثم إلى دمشق حيث استقر به المقام هناك حتى وفاته في تاريخ غامض(١١).

علمه: لم تسعفنا المصادر التي ترجمت للنيسابوري بذكر شيء عن نشأته العلمية المبكرة، وأغفلت تلك المصادر رحلاته العلمية، ولكنه كان رحمه الله، مُلِمًا بالعلوم العقلية والنقلية، عارفًا باللغة العربية، جامعًا لفنونها، له القدم الراسخ في صناعة الإنشاء، والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير، متمكنًا من ناحية التعبير عارفًا بالتأويل والتفسير، واعيًا بالقراءات، وضمّ إلى ذلك الشهرة العلمية الواسعة على جانب كبير من الورع والتقوى، ومعرفة واسعة بالتصوف وعلوم الإشارات(١٢)، ويظهر أثر ذلك واضحًا جليًا في تفسيره الذي أودع فيه أسراره الروحية، وفيوضاته الربانية، خَلَّف رحمه الله للناس كتبًا مفيدة نافعة، ومصنَّفات فريدة واسعة، وقد ذكر النّعيمي أنّ النيسابوري تصدّر للتدريس بالمدرسة المعينية بدمشق، واستمر في التدريس بها حتى وفاته، وخلفه بعد ذلك ابنه محمد(١٣)، وهو معدود في عِداد كبار الحفَّاظ والمقرئين(١٤).وكان من أعلم أهل زمانه، مفسر وفقيه، له اشتغال بالحكمة والرياضيات(١٥).

تصانيفه:

"خَلَّف (رحمه الله) للناس كتبًا مفيدة نافعة، ومصنَّفات فريدة واسعة، فمن ذلك شرحه على متن الشافية في فن الصّرف للإمام ابن الحاجب، وهو معروف "بشرح النظام"، أو "شرح الشافية"، وشرحه على تذكرة الخواجة نصير المِلَّة والدين الطوسى(١٦) في علم الهيأة، وهو المسمى بتوضيح التذكرة، أو"شرح التذكرة" في الهيئة ورسائل في علم الحساب "شرح المجسطي(١٧)" في الحساب، و"الرسالة الشمسية" وكتاب في أوقاف القرآن على حذو ما كتبه السجاوندي(١٨) المشهور، وأهم مصنَّفاته تفسيره لكتاب الله تعالى المعروف بـ "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، وهو ما نحن بصدد دراسة موضوع التقديم والتأخير فيه الآن، وله مجلد آخر باسم "لبّ التأويل" نظير تأويلات المولى عبد الرزاق القاشانى(١٩)"(٢٠).

تفسير النيسابوري "غرائب القرآن ورغائب الفرقان".

وهو أحد التفاسير المشهورة والمهمة الذي ألّفه المقرئ نظام الدين الحسن بن محمد الحسين الخراساني، النيسابوري، المتوفي بعد (٨٥٠ هـ) لتفسير القرآن الكريم، الذي يضم ستة فصول في ثلاثة مجلدات، ألّفه سنة (٨٢٨ هـ)(٢١). وقد بيّن السبب في قيامه بتأليفه فقال: "وإذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في أكثر الفنون المنقولة والمعقولة، واشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين أهل الزمان، وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة، الإنسان من العين والعين من الإنسان، وكان قد رزقني الله تعالى من إبان الصبا وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن، وفهم معنى الفرقان"(٢٢) .

وفاته:

أمّا تاريخ وفاته، فكانت غامضة ولم تسعفنا الكتب التي بين أيدينا عن تاريخ دقيق عن وفاته، وكل ما عُثر عليه أنّه كان من علماء رأس المائة التاسعة، من قرب من درجة السيد الشريف، والمولى جلال الدين الدواني، وابن حجر العسقلاني، وآخرون ممن عاصروهم من علماء الجمهور، ولكن تاريخ إنهاء مجلدات تفسيره المذكور، صادفت حدود ما بعد الثمانمائة والخمسين من الهجرة؛ وهذا التأريخ كان قريباً من وفاة هذا العالم (٢٣) .

منهجه:

نجد أنّ الإمام النيسابوري، قد سلك في تفسيره مسلكًا يذكر فيه الآيات القرآنية أولاً، ثم يذكر القراءات، ويعنى بالربط بين الآيات، ونسبة كل قراءة إلى صاحبها الذي تُنسب إليه، ثم بعد ذلك يذكر أنواع الوقوف مع التعليل لكل وقف منها، ثم بعد ذلك يشْرع في التفسير(٢٤)، واختصر النيسابوري تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر الرازي، وضم إلى ذلك بعض ما جاء في الكشاف وغيره من التفاسير، وما فتح الله به عليه من الفهم لحكم كتابه، وضمَّنه ما ثبت لديه من تفاسير سَلَف هذه الأُمَّة من الصحابة والتابعين(٢٥)، وهو إذ يختصر كلام الفخر الرازي، أو يقتبس من تفسير الكشاف أو غيره، لا يقف عند النص، فلا يعترض ولا يتصرف، بل نجده حرًا في تفكيره، متصرفًا فيما يختصر أو يقتبس، فإنْ وجد فسادًا نبَّه عليه وأصلحه، وإنْ رأى نقصًا تداركه فأتمه وأكمله. ثم إنّ النيسابوري بعد أن يفرغ من تفسير الآية يتكلم عن التأويل، والتأويل الذي يتكلم عنه هو عبارة عن التفسيرات الإشارية للآيات القرآنية التي يفتح الله بها على عقول أهل الحقيقة، وقد ضمَّ النكت المستحسنة الغريبة مما لم يوجد في سائر التفاسير، واعتنى في تفسيره بالوقف وأسباب النزول، واعتنى باللغة ومعاني المفردات، واعتنى كذلك في كتابه بالربط ومراعاة المناسبات بين السور والآيات، وبيان الحكمة من تكرار الآيات، وكذلك ذكر المتشابهات والمشتبهات، وهذا يدلنا على رسوخ القدم في العلم وامتلاك ناصيته(٢٦).

المبحث الأوّل

نماذج من تقديم المعمول على العامل :

تقديم الخبر على المبتدأ :

التّقديم لغة: هو مصدر للفعل الماضي (قدّم)، أي : وضعه أمام غيره قَدُم يَقْدُم قِدَمًا وقَدامةً وتَقَادَمَ، وهو قديم، والجمع قُدماء وقُدامى، وشيء قُدامٌ: كقديم(٢٧).

أمّا في الاصطلاح: فهو أسلوب نحوي بلاغي ينسب إلى علم المعاني ، يهتم بتقديم الألفاظ والجمل بعضها على بعض الآخر؛ لتحقيق فائدة أو غاية معينة معينة يصبو الكاتب أو المتكلم الوصول إليها(٢٨). إنّ أسلوب التّقديم والتّأخير يعد من روائع الإعجاز القرآني التّي تضفي على السّياق رونقًا وجمالًا؛ حتى يستميل مسامع القرّاء أو السّامعين، وإذا أردنا أَنْ نحيط بالصّور المتلونة من التّقديم والتّأخير، فنراها صورًا كثيرة ومتعددةَ النّطاق وواسعةَ المدار، إذ كشف علماء النّحو والبلاغة القدامى والمحدثون السّتار عنها، فدرسوا مقاصدها ومعالمها، ونلاحظ أنّ سيبويه قد أشار إلى هذا اللون من الأسلوب بقوله: "كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانا جميعًا يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"(٢٩). وكذلك نلاحظ الإشارة التّي جاء فيها المبرد في المقتضب عندما قال: "وإنّما يصلح التّقديم والتّأخير إذا كان في التّقديم فائدة حسنة"(٣٠). إنّ أسلوب التّقديم والتّأخير الذي نحن بصدده في هذا الفصل على ضربين: الأوّل: يكون فيه التّقديم هو الأبلغ والأولى لموضع الاختصاص، والآخر: يكون التّأخير هو الأبلغ والأولى؛ إما لفائدة تقتضي ذلك، أو خوفًا من اختلال المعنى وفساده(٣١).

ويمكن أنّ نقسّم أحوال التّقديم والتّأخير إلى قسمين: أحدهما: تقديم المعمول على عامله ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظّرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وهذا التّقديم يفيد الاختصاص في غالب الأمر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٣٢)، فإنّ العبادة مختصّة بالله سبحانه، ولهذا قدّم المفعول ولو أخره لأشكل الأمر بأنّ العبادة تكون لله ولغيره حاشا لله ، ومن ذلك قولنا: (بمحمدٍ اقتديتُ) و(خالدًا أعطيتُ)، وثانيهما: التّقديم ليس لعامل بل تقديم الألفاظ بعضها على البعض الآخر في غير عمل كما في قوله تعالى:﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾(٣٣)، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾(٣٤)، ومثله من قولنا: (أعرت كتابي خالدًا) و(أَعرتُ خالدًا كتابي) (٣٥) .

المطلب الأوّل : نماذج من تقديم المعمول على عامله :

١- تقديم الخبر على المبتدأ:

لكل كلمة في الجملة ترتيب معين تأتي فيه بحسب وضعها اللغوي والنّحوي، فأصل المبتدأ يسبق الخبر، ولكن قد يخرج النّظم عن هذا التّرتيب؛ لدواع بلاغية ونفسية وجمالية، فيستدعى المؤخّر ليكون في المقدمة كما في الآيات الآتية:

قوله تعالى في سورة الحشر:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم

﴿بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[٣٦]، نقل النّيســـــابوري في تفسيره ما قاله الزمخشري من سبب تقديم الخبر ﴿مَّانِعَتُهُمۡ﴾ على المبتدأ ﴿حُصُونُهُم﴾ بقوله: "أنّ في تقديم الخبر على المبتدأ دليلًا على فرط وثوقهم بحصانتها، وفي نصب ضمـــيرهم اسمًا، لأنّ إسناد الجملـــة إليه دليل على أنّهم اعتقدوا عزّة أنفسهم ومـــنعتها بحيث لا يمكن لأحد أنْ يتعرّض لهم"(٣٧). ولا يبالون ولا يخشون أحدًا يطمع في منازعتهم، أو النّيل منهم ، وهذه المعاني لا تحصل بمجرد أنْ تقول: وظنّوا أنّ حصونهم تمنعهم(٣٨)، أو أراد من هذا التّقديم الاهتمام بوصف المنع، فإن قلت: هلا كان مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبر، فيجاب عنه بوجهين: الأوّل: أنّ المبتدأ يكون أخصّ من الخبر، ومانعتهم هنا أعمّ من الحصون؛ لأنّهم لم يحصروا المنع في الحصون، بل ظنّوا أنّهم يتمتعون بها وبكثرة عُددهم وعَددهم وقوتهم، كما أشار إليه الزّمخشري. الآخر: أنّ مانعتهم اسم فاعل بمعنى الحال أو الاستقبال(٣٩).

وقال صاحب (الفلك الدّائر): "إن ﴿حُصُونُهُم﴾ لا ترتفع بأنّه مبتدأ كما ظنّه إلا على وجه ضعيف، والصّحيح أنّه فاعل ﴿مَّانِعَتُهُمۡ﴾، فـ﴿مَّانِعَتُهُمۡ﴾ اسم فاعل معتمد على ما قبله؛ لأنّه في الحقيقة خبر المبتدأ، فيعمل فيما بعده عمل الفعل، نحو: زيد قائم أبوه"[٤٠].وقيل: (مانعتهم) خبر أنّ، و (حصونهم) يرتفع بما فيه من معنى الفعل، كما تقول: زيد قائمةٌ جاريتُه، وعمرو نائمةٌ أختُه[٤١]، واختاره أبو حيّان، وقال: "بل الرّاجح أنْ يكون حصونهم فاعلة بمانعتهم؛ لأنّ في توجيهه تقديمًا وتأخيرًا، وفي إجازة مثله من نحو: قائم زيد، على الابتداء، والخبر خلاف، ومذهب أهل الكوفة منعه"[٤٢] . ويميل الباحث إلى ما جاء به الزّمخشري وأيّده أغلب المفسرين مِنْ أنّ الخبر مقدّم على المبتدأ المتمثل بقوله تعالى: ﴿مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم﴾ لأنّهم اعتقدوا عزة أنفسهم ومـــنعتها بحيث لا يمكن لأحد أن يتعرّض لهم ؛ بسبب هذه الحصون المانعة والله أعلم.

٢- تقديم المفعول على الفعل:

المألوف أنْ يتصدر الفعل الجملة الفعلية، لكن إذا عُدِل التّركيب عن هذا الأنموذج المعتاد من الكلام فلابد من سرّ بلاغي ودلالة ثانية يختبئان وراء ذلك العُدول في التّشكيل البنائي الأصلي. ففي سورة الفاتحة قال تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٤٣]، عبّر النّيسابوري عن سبب تقديم المفعول به وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل "هي" بقوله: "لا شكّ أنّ تقديم المفعول مفيد للاختصاص، أي: لا نعبد أحدًا سواك والحاكم فيه الذّوق السّليم. واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر؛ لأنَّ العبادة عبارة عن نهاية التّعظيم فلا تليق إلاّ لمن صدر منه غاية الإنعام وهو الله تعالى، أو أنَّ تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينًا وشمالًا بخلاف العكس"[٤٤]، أي: أنّنا نخصّك بالعبادة

دون غيرك، كما في قوله تعالى:﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾(٤٥)، وفي موضع آخر:﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾(٤٦)، أي: أنّنا نخصّك بعبادتنا ومعونتنا(٤٧). أو أنّ الله أراد أنْ يقول للعبد: إنْ صعبت عليك يا عبدي العبادات وثقلت عليك الطّاعات من قيام وركوع وسجود فاذكر أولًا قول الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لتذكر وتحضر معرفتي في قلبك فإذا تمكنت من ذكري، وعلمت أنّي مولاك وخالقك، وأنّك عبدي سهّلت عليك كل العبادات، ومثاله ما يوضح ذلك عندما تريد حمل الجسم الثّقيل فلا بدّ أنْ تتناول قبل ذلك ما يزيد قوّتك وشدّتك(٤٨). وهناك منْ لا يرى في هذا التّقديم لمحة بيانية، وإنّما يتعلق بالنّاحية الصّوتية، وتناسق ختام الآيات، فلو قال نعبدك ونستعينك زالتّ طلاوة السّجع، فأقول: إن كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما يراه الزّمخشري وجماعة من أهل العربية، فلا مانع من أنْ يكون المراد من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كلا الأمرين: الاختصاص والسّجع، ولا منافاة بين هذين المطلوبين، وقال المصنّف وكذلك قوله تعالى:﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾(٤٩)، ليس تقديم المفعول ههنا للاختصاص، بل للفضيلة السّجعية فقط، فإنّه لو قال خذوه فغلّوه ثم صلّوه الجحيم لم يكن في الحسن كالأوّل، وقال: فإن قلت بل تقديم المفعول ههنا للاختصاص؛ لأنّها نار عظيمة، ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيرها، فالجواب عن ذلك أن الدّرك الأسفل أعظم من الجحيم، فكان ينبغي أن يخصّ بالذّكر دون الجحيم، على ما ذهب إليه؛ لأنّه أعظم، لكنّ استعمال هذه اللّفظة هنا أحسن من استعمال غيرها من الألفاظ نحو لظى وجهنم ونحوهما، والطّلاوة عليها دون غيرها أكثر(٥٠) . وقال الشّعراوي: نحن عندما نقول نعبدك فهذا القول لا يخلو من العطف عليه، فقد نعبدك ونعبد شركاءك، ولكن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: خصصناك يا ربّنا بالعبادة وقصرناها عليك أنت وحدك سبحانك فلا تتعدى إلى غيرك(٥١)، وسبب ذلك أنّ العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى فلا يُعبد أحد غيره ولا يُستعان به، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٥٢)، وقوله:﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾(٥٣)، فقدّم الجار والمجرور للدّلالة على الاختصاص، وذلك لأنّ التّوكّل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلّا إليه وحده. ولم يقدّم مفعول الهداية على فعله فلم يقل: (إيّانا اهد) كما قال إيّاك نعبد، وذلك؛ لأنّ طلب الهداية لا يصحّ فيه الاختصاص إذ لا يصحّ أنْ تقول: اللّهم اهدني وحدي ولا تهدِ أحدًا غيري، أو خُصّني بالهداية من دون النّاس. وهو كما تقول: اللّهم ارزقني واشفني وعافني، فأنت تسأل لنفسك ذلك ولم تسأله أنْ يخصّك وحدك بالرّزق والشّفاء والعافية، فلا يرزق أحدًا غيرك، ولا يشفيه ولا

يعافيه(٥٤). وهذا ما يميل إليه الباحث، لأنّ في تأخير المفعول تخرج العبادة من طور التّخصيص إلى التّعميم والله تعالى أعلم.

٣- تقديم المفعول على الفاعل:

أصل الفاعل أنْ يسبق المفعول به، ولكن قد يخرج النّظم عن هذا التّرتيب لدواع بلاغية ونفسية وجمالية، فيستدعي هذا التّقديم كما في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٥٥)، عبّر النّيسابوري عن سبب تقديم المفعول به ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ على الفاعل ﴿رَبُّهُۥ﴾ بقوله: "ولا ريب أنّ ذكر جعل ابراهيم اماماً أولى بالتّقديم لعموم نفعه للخلائق، ولتقدمه في الوجود أيضًا"(٥٦) وقال الرّازي: "وهو أن يتقدم المفعول على الفاعل في الصّورة لا في المعنى، وهو كقولك: ضَربَ غُلامَهُ زيدٌ: فغلامُهُ مفعولٌ، وزيدٌ فاعلٌ، ومرتبةُ المفعولِ بعد مرتبة الفاعل، إلّا أنّه وإنْ تقدم في اللّفظ لكنه متأخر في المعنى"(٥٧)، أو أنّ هذا التّقديم هو تشريف لنبي الله إبراهيم (عليه السّلام)، وإيذانا من الله بأنّ ذلك الابتلاء والاختبار هو تربية له وترشيحه لأمر خطير(٥٨). إذن هناك بلاء بالخير وبلاء بالشّر، والبلاء كلمة لا تخيف، أمّا الذي يخيف هو نتيجة هذا البلاء، لأنّ البلاء هو امتحان أو اختبار، إنْ أديته ونجحت فيه كان خيرًا لك، وإنْ لم تؤده كان وبالًا عليك، فإبراهيم نجح في الامتحان(٥٩)، وإنّ سبب تقديمه، لأنّ مدار القصّة والحديث عليه والكل يريد أنْ ينتسب لسيدنا إبراهيم ويجد أنّه الأفضل، وأنه هو الذي على الحق، وأنّ الآخر على الباطل سواء قريش ونسبتها إلى إبراهيم عن طريق سيدنا إسماعيل (عليه السّلام)، أو اليهود والنّصارى أهل الكتاب ونسبتهم إلى سيدنا إبراهيم عن طريق سيدنا إسحق (عليه السّلام)، فمدار الحديث والقضية والتّركيز عن سيدنا إبراهيم فقدم لذلك(٦٠). وأضف إلى ذلك أنّ ابراهيم (عليه السّلام) هو قمّة الصّبر والصّمود عند مواجهة الابتلاء والنّكود، فأينما يُذكر الابتلاء فالانظار تتجه نحو ابراهيم (عليه السّلام)؛ لأنّه الصّابر المحتسب عند الاختبار، فعُلم لدينا أنّ التّقديم لا يكون إلّا لغاية تجعل من ذلك المتقدّم أهمية فائقة. ولو وجهنا الأنظار إلى آية أخرى يقول تعالى في سورة الأنفال:﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(٦١)، فحين قدّم الله سبحانه وتعالى المفعول به ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على الفاعل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ للاهتمام به، ولبيان حال الكافرين عند الاحتضار قبل خروج الرّوح، وكيف أنّ الله أخزاهم بجعل الضّرب على وجوههم وأدبارهم وإنّما خصّوهما بالضّرب؛ لأنّ الخزي والنّكال بضربهم أشد(٦٢)، "فأُريد بذلك تسليط عدسة الذّهن عليهم عند احتضارهم؛ لأنّه ليس كاحتضار المؤمن وما يلقون من أذى ومشّقة وأنّ العذاب يصبّ عليهم صبًّا

لحظة الاحتضار، فالنّاتج الدّلالي إذن تشنيع حالة الكفر وتغليظ بيان عقوبة الكافرين, فقدّم المفعول الذين كفروا ولو قدّم الفاعل الملائكة في هذا الموضع لم يفد هذا المعنى؛ لأنّه لا يتعلق غرض بذكرهم، فإنّ الملائكة يتوفون بني آدم جميعًا مؤمنهم وكافرهم"(٦٣). أرى والله أعلم بأن تقديم (الذين كفروا) للاهتمام والاختصاص، هذا من جانب، ومن جانب آخر أخّر (الملائكة)؛ لتجنّب اللّبس على القارئ عندما جعل الملائكة هم من يقوم بضربهم وعقابهم، وليس الأمر كذلك لو كانت الآية: يتوفى الملائكة الذين كفروا يضربون وجوههم وأدبارهم قد يذهب تفكير بعضهم إلى أنّ من يقوم بالضّرب هم أنفسهم، ولماذا لا نعتبر إنّ الآية ليس فيها تقديم؟ والتّقدير ولو ترى إذ يتوفى (الله) الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم، فتكون الملائكة مستأنفة.

٤- تقديم شبه الجملة:

قد يقع الظّرف خبرًا، أو يتقدّم الجار الأصلي فيكون خبرًا، وحينئذ يشترط في الظّرف الواقع خبرًا وفي الجار الأصلي مع المجرور كذلك إنْ يكون تامًا، أي: يحصل بالإخبار به فائدة بمجرد ذكره، ويكمل به المعنى المطلوب من غير خفاء ولا لبس(٦٤)، ولابد للظّرف أو الجار والمجرور من متعلق حتى تتم الفائدة أو المعنى، وإلّا لم تكن منهما فائدة. وسوف نقف مع بعض النّماذج القرآنية؛ لنرى ما أفاء الله به من أسرار بلاغية لهذا التّقديم.

١- تقديم الجار والمجرور:

قال تعالى في سورة النّحل:﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾(٦٥)، عبّر النّيسابوري عن سبب تقديم الظّرف شبه الجملة (الجار والمجرور) المتمثل بقوله: ﴿وَمِنۡهَا﴾ على الفعل ﴿تَأۡكُلُونَ﴾ بقوله: "ومنها تأكلون يتقدم على الظّرف المؤذن بالاختصاص فلأنّ الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده النّاس في مآكلهم عادة، أمّا الأكل من غيرها كالدّجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجاري مجرى التّفكه، ويحتمل أنْ يراد أنّ غالب أطعمتكم إنّما يحصل منها لأنّكم تحرثون بالبقر، وتكتسبون بإكراء الإبل وتشترون بنتاجها وألبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الأطعمة"(٦٦). وهذا القول أكّده الزّمخشري من قبل عندما قال: ويحتمل أنّ طعمتكم منها؛ لأنّكم تحرثون بالبقر، والحب والثّمار التّي تأكلونها منها، وتكتسبون بإكراء الإبل، وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها(٦٧)، فهو قول ترتاح له النّفس، ويطمئن له القلب؛ لأنّ أغلب المفسرين اعتمدوه في تفاسيرهم. أو يكون بهذا التّقديم حافظاً على رؤوس الآي(٦٨)، وهذا الرّأي فيه نظر، والجواب عنه من وجهين: الأوّل: أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على أنْ يجعل الكلام في تراكيب عجيبة من غير تقديم حقّه التّأخير. والآخر: لو عدنا إلى

لفظ يسبق هذا التّقديم في الآية نفسها، لوجدنا قوله: ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾، تحمل التّقديم ذاته، وهي بعيدة عن فاصلة.

٢- تقديم الظّرف:

قال تعالى في سورة ق:﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾(٦٩)، قال النّيسابوري في تقديم شبه الجملة الظّرفية:﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، أي: أنّ الأمر بيدنا "لا على غيرنا وهو ردّ على قولهم"(٧٠)، فذكره القرآن ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾(٧١) أو أنّ في تقديم الظّرف دلالة على الاختصاص، أي: أنّ لا يتيّسر أو يتسّهل مثل ذلك الأمر العظيم إلاّ على الواحد الأحد الفرد الصّمد القادر على كل شيء، فهو هين على القدير، يستطيع جمع الأرواح بالأجساد والرّميم المتمزقة والأمم المتفرقة، فلا يشغله شأن عن شأن، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٧٢)، فهذا دليل القدرة الجبّارة على إيجاد الوجود(٧٣). وفي موقع آخر من سورة ق قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾(٧٤)، أشار النّيسابوري إلى تقديم الظّرف في هذه الآية بقوله: "ولعلّ في تقديم الظّرف إشارة إلى أنّه كالمسلط على المؤمنين ولهذا وقع إيمانهم وهذا ممّا يقوّي طرف المجبرة، وقيل: أراد إنك رؤوف رحيم بهم لست فظًا غليظًا، والأوّل أولى، بدليل قوله فَذَكِّرْ إلى آخره، أي: أترك هؤلاء وأقبل على دعوة من ينتفع بتذكيرك والله أعلم"(٧٥)، أو أنّك تقف تجبرهم على الإسلام (إِنَّمَا بُعِثْتُ فَاتِحًا وَخَاتِمًا، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلَامِ وَفَوَاتِحَهُ، فَلَا يُهْلِكَنَّكُمُ الْمُشْرِكُونَ)(٧٦)، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لو خوفتنا فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٧٧). فكانت بمثابة ترهيب لهم(٧٨)، ولو أنّه قال: بجبار عليهم، لأشكل الأمر بأنّه لم يكن جبّارًا عليهم، ولا على غيرهم، والحقيقة أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلم) رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٧٩).

المطلب الثّاني

نماذج من التّقديم العام

المقصود منه التّقديم والتّأخير من غير مراعات العامل، وعادة ما تكون الألفاظ معطوفة بالواو الذي لا يتبين معه الأوّل من الثّاني؛ لأنّ من خصائص الواو أنّها تعطف السّابق واللاحق، والمقارن فيها تفيد الفاء بأنّها ترتيبية، أي: أنّ ما قبل الفاء هو الأوّل وما بعدها هو الثّاني في التّرتيب؛ ولذلك ينبغي معرفة أسرار المتقدّم من المتأخّر مع الواو علمًا أنّ هذا النّوع من التّقديم يبدأ من الكلمة الواحدة، فشبه الجملة، فالجمل بأنواعها، فالآيات، والسّور.

إنّ التّقديم إنّما يكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام، والعناية باللّفظة لا تكون من حيث أنّها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال. ولذا كان عليك أنْ تقدّم كلمة في موضع ثم تؤخّرها في موضع آخر؛ لأنّ مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذاك، والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنّا نراه يقدّم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام، والذي يهمنا هنا تقديم الكلمات بعضها على بعض من خلال عطف الواحدة على الأُخرى.

١- تقديم بحسب الرّاحة والمشقّة:

قال تعالى في سورة النّحل:﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾(٨٠)، عبّر النّيسابوري عن سبب تقديم ﴿تُرِيحُونَ﴾ على ﴿تَسْرَحُونَ﴾ بقوله: "الإراحة ردّ الإبل إلى مراحها حيث تأوي إليه ليلًا ويقال: سرح القوم إبلهم سرحًا إذا أخرجوها بالغداة إلى المرعى، وقدّم الإراحة؛ لأنَّ الجمال فيها أظهر حين تقبل ملأى البطون حافلة الضّروع، ثم تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها"(٨١). وقال الماوردي (٤٥٠ ه): "وقد قدّم الرّواح على السّراح وإنْ كان بعده لتكامل درّها، ولأنّ النّفس به أسَرُّ"(٨٢)؛ لأنّه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها، لأنّ الرّعيان إذا روّحوها بالعشيّ وسرّحوها بالغداة، فزيّنت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها (الثّغاء والرّغاء)(٨٣)، وأنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون النّاظرين إليها، وكسبتهم الجاه والحرمة عند النّاس(٨٤).﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾(٨٥)، وأكثر ما تكون هذه الرّاحة أيام الرّبيع إذا سقط الغيث ، ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنّجعة ، وأحسن ما تكون النّعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتّجميل والانتفاع بها؛ لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها؛ لأن الرّعاة إذا سرحوا النّعم بالغداة إلى المرعى، وروحوها بالعشي إلى الأفنية والبيوت يسمع للإبل رغاء وللشّاء ثغاء يجاوب بعضها بعضًا، فعند ذلك يفرح أربابها بها وتتجمل بها الأفنية والبيوت، ويعظم وقعها عند النّاس(٨٦). وقال الزّركشي (المتوفى:٧٩٤): "لمّا كان إسراحها وهي خماص(٨٧)، وإراحتها وهي بطان(٨٨)، قدم الإراحة؛ لأنّ الجَمال بها حينئذ أفخر"(٨٩). والذي يراه الباحث أنّ الرّاعي عندما يسرح في إبله أو غنمه، فإنّه يجد من المشقّة والعياء ولاسيَّما في بداية توجهه بها إلى الكلأ في أوّل النّهار، فإنّها تتوجه وتنتشر في كل صوب طلبًا للمرعى، فتجد الرّاعي مشغولًا بها إلى حدّ الإعياء والتّعب، فتراه يخرج الأصوات كي يحاول ردّها إليه، ولاسيَّما في أوقات القحط، فلا يجد راحة إلا عندما يعود بها إلى مراحها، حتّى أنّ شكل بطونها قد تغيّر، لأنّها أبدنت وأصبحت شبعى ممتلئة البطون جميلة الشّكل تسرّ أهلها، ويرتاحون لمنظرها،

ويستسرون بجمالها، وهي تلتقي بصغارها، فتكون الفرحة ليس لأهلها فحسب، بل حتى الحيوانات تفرح وهي تعود إلى صغارها، فتدّر لهم اللّبن بعد ما كانت خماصًا والله أعلم.

٢- تقديم الأهم على المهم:

قال تعالى في سورة البقرة :﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٩٠]، عبّر النّيسابوري عن سبب تقديم طلب الأمن على سائر المطالب بقوله: "وإنّما قدّم طلب الأمن على سائر المطالب؛ لأنّه لولاه لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من مهمات الدّين والدنيا ومن هنا جاز التّلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه. وسئل بعض الحكماء أنّ الأمن أفضل أم الصّحة؟ فقال: الأمن دليله أنّ شاة لو انكسرت رجلها فإنّها تصح بعد زمان، ثم إنّها تقبل على الرّعي والأكل وإنّها لو رُبطت في موضع، ورُبط بالقرب منها ذئب فإنّها تمسك عن العلف ولا تتناول شيئًا إلى أن تموت، فدلّ ذلك على أنّ الضّرر الحاصل من الخوف أشدّ من الألم الحاصل للجسد"[٩١]. فيدلُّ ذلك على أنّ البلد إذا كان آمنا ومطمئنًا وحصل فيه الخصب والخير تفرغ أهله لطاعة الله سبحانه وتعالى، وإذا كان البلد على غير ذلك، فلا يستطع أهله مواصلة العبادة على الوجه المطلوب[٩٢]. والفرق بين ما ذُكر هنا ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وما ذُكر في في سورة ابراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[٩٣]، أنّ المطلوب هنا مجرد الأمن للبلد والمطلوب هنالك البلدية والأمن[٩٤]، وحينما قال:﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، طلب من الله شيئين: أنْ يجعل هذا المكان بلدًا، وأنْ يجعله آمنا، وما معنى أنّ يجعله بلدًا؟ هناك أسماء تؤخذ من المحسات. . . فكلمة غصب تعني سلخ الجلد عن الشّاة وكأنّ من يأخذ شيئًا من إنسان غصبًا كأنه يسلخه منه بينما هو متمسك به[٩٥].

ويرى الباحث أنّ سبب تقديم الأمن؛ هو أنّ الخائف لا يهتم بالأكل وجمع المال؛ لأنّ فقدان الأمن ينسيه ذلك هذا من جانب، ومن جانب آخر أنّ الضّرر الذي يخلّفه انعدام الأمن على المجتمع أعمُّ من الضّرر الذي يخلفه الجوع ونقص الأموال والثّمرات﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٩٦]؛ لأنّ الجوع قد يؤثّر على الفقير دون الغني، ونقص الأموال يؤثّر على الفقير أيضًا، ونقص الثّمرات لا يؤثّر على أصحاب البساتين؛ لأنّ النّقص فيها يؤثّر على دخلهم ليس على مطعمهم، فهم يجدون ما يسدّ حاجتهم حتى ولو تأثر غيرهم، ولكن فقدان الأمن يؤثّر على الغني والضّعيف، بل المجتمع بأسره والله أعلم.

٣- التّقديم بحسب الرّتبة:

قال تعالى في سورة النّحل: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[٩٧]، عبّر النّيسابوري عن سبب تقديم ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ على﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ بقوله: "من النّاس من قال: السّمع أفضل من البصر، لتقديمه في اللّفظ، ولأنّه شرط النّبوة، فما بعث رسول أصمّ بخلاف البصر فمن الأنبياء من كان مبتلى بالعمى، ولأنّ السّمع سبب وصول المعارف ونتائج العقول إلى الفهم، والبصر سبب وصول المحسوسات إلى المبصر، ولأنّ السّمع يتصرف في الجهات السّت دون البصر، ولأنّ فاقد السّمع في الأصل فاقد النّطق، بخلاف فاقد البصر"[٩٨]، وبالسّمع يكون التّواصل في النّتاج العقلي بين البشر، وهو سبب لاستكمال العقل بالعلم والمعرفة، فالسّمع لا تمنعه الحواجز المادية من أداء أو اتقان عمله بخلاف البصر فإنه يمتنع بوجود تلك الحواجز التّي تمنعه من إدراك هذه الأشياء، ومتى ما بطل السّمع بطل النّطق، بخلاف السّمع الذي لا يبطل النّطق بإبطاله[٩٩]. وممّا يؤكد ويؤيد هذا التّفضيل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾[١٠٠]، فقدّم الصّمّ وهم فاقدو السّمع على العميان وهم فاقدو البصر قالوا: لأنّ السّمع أفضل[١٠١]. إنّ حاسّة السّمع هي قوة واحدة ولها محل وموطن واحد وهو الأذن، ولا يملك السّامع أيّة قدرة على ردّ الصّوت الواصل إلى الأذن، وليس لديه قدرة على تخصيص أو تحديد السّمع ببعض المسموعات من دون بعضها الآخر بخلاف البصر فمحلها العين والرّائي لديه الامكانية في اختيار المرئي دون غيره، بوساطة الأجفان حيث أنّه يطبق تلك الأجفان إذا أراد صرف النّظر عن أيّ شيء لا يريد رؤيته[١٠٢] . وقال الشّعراوي: "إنّ وسائل العلم تبدأ بالسّمع، ثم بالأبصار، ثم الأفئدة، ومن العجيب أنّه رتبها في أداء وظيفتها؛ لأنّ الإنسان منّا إذا كان له وليد - كما قلنا سابقًا - ثم جاء أحد بعد ميلاده ووضع أصبعه أمام عينه فإنه لا يطرف؛ لأنّ عينه لم تؤد بعد مهمة الرّؤية، وعيون الوليد لا تؤدي مهمة الرّؤية إلا بعد مدة من ثلاثة أيام إلى عشرة، ولكنّك إذا جئت في أذنه وصرخت انفعل إن هذا دليل على أنّ أذنه أدّت مهمتها من فور ولادته، بينما عينه لا تؤدّي مهمة الرّؤية إلا بعد مدة "[١٠٣] وفضلًا عن ذلك أنّ المولود عند ولادته يؤذن في أذنه فهذا دليل على أنّ تلقي الرّسالة المحمدية تبدأ بالسّمع ثم الطّاعة، فالذي يسمعك يكون قريبًا منك ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[١٠٤]، والذي يراك ليس شرطًا أنْ يكون قريبًا منك، وإنّ أهمية السّمع تقتضي تقديمه، لأنّ السّمع يوصل إلى النّطق، لو انعدم لانعدم النّطق معه، وفقدان البصر لا يؤثّر على النّطق شيئًا، فلو أنّ قاضيًا استدعى شاهدًا في قضية ما، وهذا الشّاهد قد أدلى بشهادته، وبينه وبين والقاضي حجاب والقاضي لا

يراه سوى أنّه يسمع صوته، فالقاضي يحكم ولا ضير عليه بمجرد أنّه سمع كلامه، غير الذي يحضر وليس لديه القدرة على الكلام سوى الإشارات، فهذا لا تؤخذ منه شهادة حتى ولو أنّ القاضي يراه، فهذا دليل أهمية السّمع والله أعلم.

٤- التّقديم والتّأخير التّقابلي:

قال تعالى في سورة الأنعام:﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١٠٥]، وفي موضع آخر: من سورة الإسراء قال تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[١٠٦]، عبّر النّيسابوري عن هذا التّمايز البديع في التّقديم والتّأخير بين هاتين الآيتين بقوله: "وإنّما قال هاهنا: نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وقال في سبحان بالعكس، لأنّ التّقدير في الآية من إملاق بكم نحن نرزقكم وإيّاهم، وهناك زيدت الخشية التّي تتعلق بالمستقبل، فالتّقدير خشية إملاق يقع بهم نحن نرزقهم وإيّاكم، ثم نهى عن قربان الفواحش كلّها"[١٠٧]، وهذا من التّفنن البلاغي، فحصول الإملاق للوالد وخشيته من هذا الفقر جاء التّنزيل بأنّ الله يتكفّل برزقكم أيّها الآباء فهي بُشارة لهم بزوال ذلك ما هم فيه من إملاق، وأمّا إذا كانوا ميسورين ولكنّهم يخشون الإملاق المستقبلي، فجاء التّطمين بأن الله سوف يرزقهم وإيّاكم، ويضمن معيشتهم فلا معنى لقتلهم، أو الخشية من مستقبل لم يجيء[١٠٨]، أو أنّ الإملاق الدّافع للوأد المحكي به في آية سورة الأنعام هو إملاق الآباء دون البنات فقدّم الإخبار بأنّ الله سبحانه وتعالى هو رازقهم ورازق بناتهم، وأمّا الإملاق المذكور في آية سورة الإسراء فهو الإملاق المخشيّ وقوعه مستقبليًا، والأكثر توقعًا، إنّه إملاق البنات، فلذلك قدّم الإعلام بأنّ الله سبحانه وتعالى رازق الأبناء ورازق آبائهم، وهذا من نكت القرآن[١٠٩]. وقال الشّعراوي: "مادام الفقر موجودًا فالإنسان لا يريد أولادًا ليزداد فقره، ولذلك قال له الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، أي: أنّ مجيء الأوّلاد لن يزيدكم فقرًا، لأنّ لكم رزقكم ولهم رزقهم. وليس معنى أنّ لهم رزقهم أنّ ذلك سينقص من رزقكم. . فللأب رزق وللولد رزق، أمّا في الآية الثّانية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ فكأنّ الفقر غير موجود، ولكنّه يخشى أنْ رُزق بأولاد بأنّه الفقر، يقول له الحقّ: "﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، أي: أنّ رزقهم سيأتيهم قبل رزقكم، فعندما تقرأ قول الله سبحانه وتعالى:﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[١١٠]، مكررة في الآيتين لا تظن أنّ هذا تكرار، لأنّ إحداهما ختامها:﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا

شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، والثّانية: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾، فالضّمير مختلف في الحالتّين. مرة يرجع إلى النّفس الجازية فقدّم الشّفاعة وأخّر العدل، ولكنّ في النّفس المجزي عنها يتقدم العدل وبعد ذلك الشّفاعة"(١١١). فالآية الأولى في سورة الإسراء الأهل ليسوا فقراء أصلاً وعندهم ما يكفيهم ولا يخشون الفقر، ولكنّهم يخشون الفقر في المستقبل إذا أنجبوا بأنْ يأخذ المولود جزءًا من رزقهم ويصبح الرّزق لا يكفيهم هم وأولادهم، ويصبحوا فقراء، فخاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ ليطمئنهم على رزقهم أولًا ثم رزق أولادهم؛ ولهذا قدّم الله تعالى رزقهم على (إيّاكم)؛ لأنّه تعالى يرزق المولود غير رزق الأهل ولا يأخذ أحد من رزق الآخر، أمّا في الآية الثّانية فهم فقراء في الأصل وهمّهم أنْ يبحثوا عن طعامهم أولًا ثم طعام من سيأتيهم من أولاد، فالله تعالى يطمئن الأهل أنّه سيرزقهم هم أولاً ثم يرزق أولادهم؛ لأنّ الأهل لهم رزقهم والأوّلاد لهم رزقهم أيضًا(١١٢).

أرى والله أعلم أنّ تقديم الآباء على الأبناء في الآية الأولى وتأخيرهم في الثّانية له علاقة بالزّمان، أي: أنّ في الآية الأولى قال تعالى: ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ **فالفقر حاصل والآباء في هذه المرحلة متكفلون بمعيشة أبنائهم، ومسؤولون عنهم، فطمأنهم الباري بقوله:**﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، أمّا في الآية الثّانية قال: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ الفقر لم يحصل بعد، بل كانت خشيتهم على مستقبل مجهول، وبما أنّ مسؤولية الآباء مستقبلًا تقع على أبنائهم؛ لأنّ هذا الصّغير يصبح كبيرًا شديدًا، بعدما يعود أبوه ضعيفًا، فهو يتولّى رعاية أبويه، فهو الرّاعي في شؤون أهله، فيطلب العمل الذي يرزقه الله به؛ فينفق على أهله؛ فقدّم الله رزق الأوّلاد على الآباء ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

٥- التّقديم لدلالة السّياق:

قال تعالى في سورة الأنعام:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(١١٣)، وفي موضع آخر في آية سورة غافر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾(١١٤)، عبّر النّيسابوري عن هذا التّقديم الذي كان لسياق الآية أثر في وجوده بقوله: "وإنّما قال هاهنا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وفي (المؤمن) بالعكس؛ لأنّه وقع هاهنا بعد ذكر الشّركاء والبنين والبنات فكان رفع الشّرك أهم، وهنالك وقع بعد ذكر خلق السّموات والأرض فكان تقديم الخالقية أهم"(١١٥)؛ لأنّ ما في سورة الأنعام جاء بعد قوله تعالى:﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١١٦)، فلمّا قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أتى بعده بشيء يدفع قول الذين جعلوا لله سبحانه شركاء، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثم قال سبحانه: ﴿خَٰلِقُ

كُلِّ شَيۡءٖ﴾، أمّا في سورة غافر جاء هذا القول بعد قوله تعالى:﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[١١٧]، فكان الكلام على إثبات خلق الإنسان ووجوده، لا على نفي الشّركاء عنه هنا، كما كان عليه في الآية الأولى، فكان تقديم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ هاهنا أولى[١١٨].

يميل الباحث إلى ما جاء به أغلب المفسرين من أنّ السّياق عندما كان في إنكار الشّرك والدّعوة إلى التّوحيد الخالص، ونفي الصّاحبة والولد، جاء بذكر كلمة التّوحيد ثم ثن ثى ثي ؛ لأنّ رفع الشّرك أهم، ولمّا كان السّياق في ذكر السّماوات والأرض وعظمة خلقها، كان تقديم الخالقية أهم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، والله أعلم.

الخاتمة :

هذا ما تيسّر للباحث جمعه ومناقشته في هذا العمل المتواضع، وإنّي أوجز ما توصلت إليه في النقاط الآتية:

١- إنّ كلّ لفظة في التعبير القرآني جاءت مقصودة لذاتها، ووضعت موضعها الذي وضعت فيه في السياق القرآني، من أجل أنْ تؤدي معنى مقصودًا لا تؤديه لفظة أخرى غيرها، ولا تؤديه أيضًا نفس اللفظة إذا نقلناها من موضعها الذي هي فيه بالتقديم أو التأخير، ولو حدث لاختل المعنى المراد من الله عزّ وجل للتقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته، ودلالاته.

٢- لم يكن التقديم والتأخير لرعاية الإيقاع الموسيقي في رؤوس الآيات (الفواصل)، وإنّما جاء مقصودًا، لغرض يقتضيه المقام، والمعنى الإلهي والسياق .

3- قصدت من هذا البحث الإسهام في خدمة كتاب الله العزيز، بحسب القدرة البشرية، وما فيه من صواب فهو بتوفيقه سبحانه، أمّا أخطاؤنا فمن قلة بضاعتنا المزجاة، وقصور الإنسان.

٤- وجدت في دراستي أنّ هناك آيات يقدّم فيها ما رتبته التأخير، ويؤخر فيها ما رتبته التقديم حسبما يقتضيه سياق الكلام، وثمرة هذا التقديم والتأخير إمّا أنه يفيد الاختصاص، أو الغرض منه العناية والاهتمام .

ختامًا أقول: فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي، غير أنّي لا أُصّرُ عليه، وحسبي أنّي كنت حريصًا أنْ لا أقع في الخطأ. وإنْ أدركت ضالتي فذلك من فضل الله (عز وجل) عليّ، وما أمدني فيه من عون وتوفيق وعطاء في إتمام هذه الرسالة . والله الموفق .

المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السّعود محمد بن محمد بن مصطفي العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- البحر المحيط في التّفسير، أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢٠ هـ.
- التّحرير والتّنوير: محمد الطّاهر بن محمد بن عاشور التّونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدّار التّونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
- البرهان في بيان القرآن: ابن قدامة المقدسي (٦٢٠ هـ)،تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- تفسير الإمام ابن عرفة: أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة التّونسي، (ت، ٨٠٣هـ)، تح: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزّيتونية، تونس، ط١، ١٩٨٦ م.
- تفسير الشّعراوي: محمد متولي الشّعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، أخبار اليوم، ١٩٩٧ م.
- التّفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تح: غلام نبي التّونسي، مكتبة الرّشدية، الباكستان، د.ط: ١٤١٢ هـ.
- مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد النّسفي (ت، ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطّيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- تفسير القرآن العظيم: عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي، تح: مصطفي السّيد محمد و محمد السّيد رشاد و محمد فضل العجماوي و علي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة و مكتبة أولاد الشّيخ، د.ط، د.ت.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت، ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباسأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت: ٧٥٦هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، تح: محمد السّعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٠هـ .
- الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي، أبو الحسين (ت، ٣٩٥هـ)، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر، الكرماني (ت: نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، د.ط، د.ت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، د.ط، د.ت.
- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
- الفلك الدائر على المثل السائر: أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد(ت، ٦٥٦هـ)، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الخازن (ت: ٧٤١هـ)، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط٣، ١٤٢٣ - ٢٠٠٣ .
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، د.ت.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت، ٧٠٨هـ) تح، عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- النحو الوافي: عباس حسن (المتوفي: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥، د.ت.
- النكت في إعجاز القرآن: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني (ت، ٣٨٤هـ)، تح: محمد خلف الله، و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م.

الهوامش

(١) لسـان العرب، مادة (قدم): ٤٦٥/١٢ .
(٢) الجامع الكبير في صناعة المـنظوم من الكلام والمنثور: ١٠٨ .
(٣) الكتاب :١/ ٣٤ .
(٤) المـقتضب: ٩٦/٣ .
(٥) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المـنظوم من الكلام والمنثور: ١٠٩ .
(٦) الفاتحة الآية: ٤ .
(٧) البقرة مـن الآية: ١٧٣.
(٨) المائدة مـن الآية: ٣ .
(٩) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المـنظوم مـن الكلام والمـنثور: ١٠٩ ، ١١٢ .
(١٠) ينظر: التفسير والمفسرون: ٢٢٨ ؛ والأعلام للزركلي: ٢١٦/٢ ؛ ومعجم المؤلفين: ٢٨١/٣.
(١١) ينظر: إيجاز البيان في علوم القرآن: ١٨ ؛ والتفسير والمفسرون: ٢٢٨ و ٢٢٩.
(١٢) ينظر: إيجاز البيان في علوم القرآن: ١٨ ؛ والتفسير والمفسرون: ٢٢٩.
(١٣) ينظر: ايجاز البيان في علوم القرآن: ١٩.
(١٤) ينظر: التفسير والمفسرين: ٢٢٩ .
(١٥) ينظر: كشف الظنون ٢ / ١١٩٦، والأعلام ٢ / ٢٣٤.
(١٦) علي بن محمد بن الرضا الحسيني الموسوي علاء الدين الطوسي: له "مبارز الأقران" خمّس به المعلقات التسع، وفرغ من تأليفها سنة ٦٥٥ هـ. الأعلام للزركلي: ٣٣٣/٤ .
(١٧) وهو: أشرف ما صنف في الهيئة، بل هو الأم، ومنه: يستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن، وهو: كتاب، لبطليموس الفلوزي، الحكيم. كشف الظنون: ١٥٩٤/٢ .
(١٨) محمد بن محمد بن عبد الرشيد ابن طيفور، سراج الدين أبو طاهر السجاوندي: رياضي حنفي فرضي. له (السراجية) في الفرائض والمواريث، و (الوقف والابتداء) و (الجبر والمقابلة) رسالة، و (ذخائر نثار في أخبار السيد المختار صلّى الله عليه وسلم). الأعلام للزركلي: ٢٧/٧ .
(١٩) عبد الرزاق (جمال الدين) بن أحمد (كمال الدين) ابن أبي الغنائم محمد الكاشي (أو الكاشاني أو القاشاني) : صوفي مفسر، من العلماء. له كتب، منها: (اصطلاحات الصوفية)، و (لطائف الإعلام في إشارات أهل الأفهام)، و (السراج الوهاج) في تفسير القرآن، وغيرها.الأعلام للزركلي: ٣٥٠/٣ .
(٢٠) كشف الظنون ٢ / ١١٩٦؛ وينظر: سلّم الوصول الى طبقات الفحول: ٣٦/٢ ؛ والأعلام ٢ / ٢٣٤ و ٢١٦ ؛ والموسوعة الفقهية الكويتية: ٣٥٢/١٧ ؛
(٢١) ينظر:الأعلام للزركلي: ٢١٦/٢ .
(٢٢) غرائب القرآن: ٥ .

(٢٣) ينظر: التفسير والمفسرون: ٢٢٩.
(٢٤) ينظر: التفسير والمفسرون: ٢٣١ .
(٢٥) ينظر: غرائب القرآن: ٦ ؛ وكشف الظنون: ١١٩٦ .
(٢٦) ينظر: غرائب القرآن: ٦/ ٦٠٦ ؛ وكشف الظنون: ١١٩٦/٢ .
(٢٧) لسان العرب، مادة (قدم): ٤٦٥/١٢ .
(٢٨) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٠٨ .
(٢٩) الكتّاب : ٣٤ .
(٣٠) المقتضب: ٩٦/٣ .
(٣١) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٠٩ .
(٣٢) الفاتحة الآية: ٤ .
(٣٣) البقرة من الآية: ١٧٣.
(٣٤) المائدة من الآية: ٣ .
(٣٥) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٠٩ ، ١١٢ .
(٣٦) الحشر الآية: ٢ .
(٣٧) غرائب القرآن: ٢٨٢/٦ .
(٣٨) ينظر: الكشاف: ٤٩٩/٤ ؛ والتّفسير الكبير: ٥٠٢/٢٩ ؛ والبحر المحيط: ١٣٨/١٠ ؛ وإرشاد العقل السليم: ٢٢٥/٨ ؛ وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ١٢٧/٢
(٣٩) ينظر: تفسير ابن عرفة: ١٩٢/٤.
(٤٠) الفلك الدائر: ٢٥٢/٤ .
(٤١) غرائب التّفسير وعجائب التأويل: ١١٩٧/٢ .
(٤٢) البحر المحيط: ٢٤٢/٨ .
(٤٣) البقرة الآية: ٥ .
(٤٤) غرائب القرآن: ١٠٣ .
(٤٥) الزمر من الآية: ٦٤ .
(٤٦)الأنعام من الآية: ١٦٤ .
(٤٧) ينظر: الكشاف: ١٣ .
(٤٨) ينظر: التّفسير الكبير: ٢١١ .
(٤٩) الحاقة الآية: ٣١ .
(٥٠) ينظر: الفلك الدائر على المثل السائر: ٢٤٨/٤ ؛ وينظر: المثل السائر: ٢٢٠/٢ .
(٥١) ينظر: تفسير الشّعراوي: ٤٣٧٢/٧ .

(٥٢) ابراهيم الآية: ١٢ .
(٥٣) يونس الآية: ٥٨ .
(٥٤) موقع: https://www.mazameer.com/vb/threads/130900 ٢٠١٨/١٠/١٠ الساعة: الثامنة صباحًا .
(٥٥) البقرة الآية: ١٢٤.
(٥٦) غرائب القرآن : ٣٩٤.
(٥٧) التّفسير الكبير: ٦٤ .
(٥٨) ينظر: روح المعاني:٣٧٢/١.
(٥٩) ينظر: تفسير الشّعراوي: ٣٢٨.
(٦٠) موقع: islamiyyat.3abber.com/post/236456 ٢٠١٨/١٠/١٥ الساعة العاشرة مساءًا .
(٦١) الانفال الآية: ٥٠ .
(٦٢) ينظر: الكشاف:٢٦٥/٢ ؛ وروح المعاني:٢١٣/٥.
(٦٣) معاني النّحو:٥٦/٢.
(٦٤) النّحو الوافي: ٤٧٨.
(٦٥) النّحل الآية: ٥ .
(٦٦) غرائب القرآن: ٢٤٤/٤ .
(٦٧) ينظر: الكشاف: ٥٩٤/٢ ؛ والتّفسير الكبير: ١٧٥/١٩ ؛ وفتح القدير: ١٧٨/٣ .
(٦٨) ينظر: أنوار التنزيل: ٢٢٠/٣ ؛ ومدارك التنزيل: ٢٠٣/٢ ؛ ولباب التأويل: ٦٧/٣ ؛ وإرشاد العقل السليم: ٩٧/٥ .
(٦٩) ق الآية: ٤٤ .
(٧٠) غرائب القرآن: ١٨١/٦ .
(٧١) ق الآية: ٣ .
(٧٢) لقمان الآية: ٢٨ .
(٧٣) ينظر: الكشاف: ٣٩٣/٤ ؛ والتّفسير الكبير: ١٥٧/٢٨ ؛ ومدارك التنزيل: ٣٧٠/٣ ؛ وروح المعاني: ٣٤٤/١٣.
(٧٤) ق الآية: ٤٥ .
(٧٥) غرائب القرآن: ١٨١/٦ .
(٧٦) أخرجه البيهقي في شعب الايمان، تسلسل الحديث: ٤٨٣٧، ١٧١/٧ .
(٧٧) ق الآية: ٤٥ .
(٧٨) ينظر: تفسير المظهري: ٧٨/٩ .
(٧٩) الفتح الآية: ٢٦ .

(٨٠) النّحل الآية: ٦ .
(٨١) غرائب القرآن: ٢٤٤/٤ .
(٨٢) النّكت والعيون: ١٨٠/٣ .
(٨٣) (الثُّغَاءُ) صَوْتُ الشَّاةِ وَالْمَعْزِ وَمَا شَاكَلَهُمَا وَ (الثَّاغِيَةُ) الشَّاةُ وَالرَّاغِيَةُ الْبَعِيرُ، الصحاح، باب(ث غ ا): ٤٩ .
(٨٤) ينظر: الكشاف:٥٩٤/٢ ؛ والتّفسير الكبير:١٧٦/١٩ ؛ ومدارك التنزيل: ٢٠٤/٢ ؛ وإرشاد العقل السليم: ٩٧/٥ ؛ وروح المعاني:٣٤٣/٧.
(٨٥) النّحل الآية: ٨ .
(٨٦) ينظر: تفسير الخازن: ٨٠/٤ .
(٨٧) خماصًا: والخمص والخمص والمخمصة: الجوع، وهو خلاء البطن من الطعام جوعا. والمخمصة: المجاعة، وهي مصدر مثل المغضبة والمعتبة، وقد خمصه الجوع خمصا ومخمصة. لسان العرب: ٣٠/٥ .
(٨٨) بَطِنَ بالكسر يَبْطِنُ بَطَناً: عَظُمَ بطنه من الشبع، وبطانا أي ممتلئة الأجواف. الصحاح، مادة (بطن): ٢٠٧٩/٥.
(٨٩) البرهان: ٢٦٢/٣ .
(٩٠) البقرة الآية: ١٢٦ .
(٩١) غرائب القرآن: ١٩٨/٤
(٩٢) ينظر: التّفسير الكبير: ٤٨/٤ ؛ وفتح القدير: ١٣٤/٣ ،
(٩٣) ابراهيم الآية: ٣٥ .
(٩٤) فتح القدير:١١٢/٣.
(٩٥) ينظر: تفسير الشّعراوي: ٥٨٢ .
(٩٦) البقرة الآية: ١٥٥ .
(٩٧) النّحل الآية : ٧٨ .
(٩٨) غرائب القرآن: ١٥٣ ،١٥٤ .
(٩٩) ينظر: التّفسير الكبير: ٢٩٥/٢ .
(١٠٠) الفرقان الآية: ٧٣ .
(١٠١) ينظر البرهان: ٢٥٤/٣.
(١٠٢) ينظر: فتح القدير: ٢٨٨/٤.
(١٠٣) تفسير الشّعراوي: ٤٤١٤/٧.
(١٠٤) طه الآية: ٤٦.
(١٠٥) الأنعام الآية: ١٥١ .
(١٠٦) الإسراء الآية: ٣١ .
(١٠٧) غرائب القرآن: ١٣٣/٣ .

([١٠٨]) ينظر: الدر المصون: ٢١٩/٥ ؛ وتفسير ابن كثير: ٢١١/٦ ؛ وروح المعاني: ٦٥/٨ .

([١٠٩]) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٨/١٥ .

([١١٠]) البقرة من الآيتين/ ٤٨ ، ١٢٣ .

([١١١]) تفسير الشّعراوي: ٣٢٠ .

([١١٢]) ينظر: لمسات بيانية: ٥٩٣ .

([١١٣]) الأنعام الآية: ١٠٢ .

([١١٤]) غافر الآية: ٦٢.

([١١٥]) غرائب القرآن: ١٣٦/٣ .

([١١٦]) الأنعام الآية: ١٠٠ .

([١١٧]) غافر الآية: ٥٧ .

([١١٨]) ينظر:درة التنزيل: ١٦٨ ؛ وملاك التأويل: ٣٤١ ؛ وروح المعاني :٢٣٠/٤